التعرض لخصوم آل البيت (عليهم السلام) والبراءة منهم في الشعر العباسي

أ.د. ثائر سمير حسن الشمري
كلية التربية الأساسية / جامعة بابل
Dr.thaaer.al-shimary@gmail.com

The Abbasid Poetry and How it Tackles the Prophet's Household's Opponents and Repudiates Them

Prof. Dr. Thair Sameer Hasan Al-Shimmari
College of Basic Education / University of Babylon

Abstract

The attitudes of some of the Abbasid poets towards the prophet's household (peace be upon them) led to more strict attitudes taken from their advocates who believe in their superiority and their deserving of the caliphate.

الملخص

إن مواقف بعض الشعراء العباسيين السلبية تجاه آل البيت (عليهم السلام)، أدّت إلى اتخاذ مواقف أشدّ منها من لدن الشعراء العباسيين من محبّي آل البيت (عليهم السلام)، والمعترفين بفضلهم، والمتأكّدين من استحقاقهم الخلافة عن جدارة، وصلت- في بعض الأحيان - إلى التعرّض للصحابة (رضي الله عنهم)، فضلاً عن المواقف الأُخر التي سنتحدّث عنها في البحث.

الكلمات المفتاحية: آل البيت (عليهم السلام)، الشعر العباسي.

التعرض لخصوم آل البيت (عليهم السلام) والبراءة منهم في الشعر العباسي

لم يكن الإخلاص لآل البيت (عليهم السلام) داخلاً في قلوب الشعراء العباسيين جميعهم، بل كان على النقيض تماماً مما رأينا في أشعار الشعراء العباسيين الموالين أو المحبين لآل البيت (عليهم السلام)، إلاّ أنّهم كانوا قلّة لا تستحق الذكر، ولكن لنكون عمليين في الدراسة هذه، كان لابد من التطرق إلى مواقف أولئك الشعراء فيما يتعلق بآل البيت (عليهم السلام).

ومن خلال الاستقراء الدقيق وجدناهم ينقسمون على فئتين، الفئة الأولى لم يكن لها مبدأ تتبناه اطلاقاً، وإنما كان همّهم الأساس الحصول على الجوائز من الخلفاء العباسيين، حتى وإنْ اضطروا الى الكذب والنفاق في أقوالهم، وكان منهم مروان بن أبي حفصة، وعلي بن الجهم، أمّا الفئة الثانية فكانت من البيت العباسي أصلاً، ممّا أدى الى الدفاع عن ذلك البيت وأحقّيته بالخلافة وتفضيله على البيت العلوي، وأبرز مَن مثل الاتجاه هذا الشاعر ابن المعتز.

وفيما يتعلق بمروان بن أبي حفصة، فانه اختصّ بمدح معن بن زائدة الشيباني طوال حياته، فلما مات الأخير رثاه الشاعر أيضاً رثاءً حاراً، وبعدها دخل على الخليفة المهدي قاصداً مدحه، فقال له: ألستَ القائل: أقمنا باليمامة، وقد ذهب النوال فيما زعمت؟ فلمَ جئت تطلب نوالاً؟ لا شيء لك عندنا. جرّوا برجله فجروا برجله حتى أُخرج(1).

وقد قصد المهدي بسؤال الشاعر: الستَ القائل: أقمنا باليمامة، قول الشاعر في رثاء معن بن زائدة الشيباني:

أقمنا باليمامة إذ يئسنا مقاماً لا نريد به زوالا

وقلنا: أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا(2)

(1) ينظر: مختار الأغاني 6/ 416.
(2) مروان بن أبي حفصة وشعره/ 274.

ولكن مروان لم ييأس من طرق باب الخليفة المهدي حتّى توصّل الى فكرة تقرّبه منه، ألاَ وهي فكرة الدفاع عن الحقّ الشرعي للعباسيين ضد العلويين، فلما كان في العام المقبل تلطّف الشاعر حتى دخل مع الشعراء فمثل بين يدي المهدي وأنشده قصيدته التي مطلعها:

طرقتك زائرة فحيِّ خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها

قادتْ فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصِّبا فأمالها

فأنصت له المهدي حتى بلغ الى قوله:

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفّكم أم تسترون هلالها

أم تدفعون مقالة عن ربِّه جبريل بلّغها النبيَّ فقالها

شهدتْ من الأنفال آخر آيةٍ بتراثهم فأردتم ابطالها

فذروا الأسود خوادر في غيلها لا تُولغنَّ دماءكم أشبالها

فلمّا سمعها المهدي زحف من صدر مصلاة حتى صار على البساط اعجاباً بما سمع . ثم قال: كم قصيدتك؟ قال مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم(1).

وقد أشار الشاعر الى الآية الكريمة في سورة الانفال التي يقول فيها جلّ من قائل:**﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**(2)، بوصفها دليلاً أكيداً في الدفاع عن الحق الشرعي للخلافة العباسية، وهو لا يكتفي بذلك من أجل التقرب من المهدي ونيل عطاياه، بل نلحظه يتوعد العلويين بالقتل واسالة الدماء إنْ هم حاولوا تغيير الخلافة لهم، بوصفهم أحقّ بها من العباسيين.

من ذلك نرى عدم ثبات المبدأ لدى الشاعر، فبعد ذلك المديح الجميل لمعن بن زائدة الشيباني، وذلك الرثاء له من بعد وفاته، نراه لجأ الى النفاق والكذب للخلافة العباسية، للحصول على الأموال التي دفعته الى القول– أيضاً – في المهدي بيان حقّ العباسيين في الخلافة:

يا ابن الذي ورث النبيَّ محمّداً دون الأقارب من ذوي الرحامِ

الوحي بين بني البنات وبينكم قطع الخصام فلات حين خصامِ

ما للنساء مع الرجال فريضة نزلت بذلك سورة الأنعامِ

خلّوا الطريقَ لمعشر عاداتهم حطم المناكب يوم كل زحامِ

أرضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا وراثه كل أصيد سامي

أنّى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمامِ

ألغى سهامهم الكتاب فحاولوا أنْ يشرعوا فيها بغير سهامِ(3)

إنّ توجّه نظر الشاعر الى ما سيحصل عليه من المهدي بعد انشاده قصيدته جعله مخطئاً في كلّ شيء فيها، بل تجاوز الأمر الى الخطأ في اسم السورة التي تتضمّن أحكام الوراثة، فسورة النساء هي التي تضمّنت تلك الأحكام، وليست

(1) ينظر: الأغاني 10/ 91، والأبيات في: مروان بن أبي حفصة وشعره/ 264، 267.
(2) الأنفال/ 75.
(3) مروان بن أبي حفصة وشعره/ 279، قطع الخصام: أنهى الخلاف، الأصيد: السيد، الأسد، أن يشرعوا فيها بغير سهام: أن ينالوها من غير أنْ يكون لهم نصيب مفروض فيها.

سورة الأنعام كما يدّعي الشاعر، وهو – فضلاً عن ذلك – يطلب من العلويين السكوت وعدم التنافس مع العباسيين الذين تعوّدوا الانتصار على الأعداء يوم التنافس في المعالي.

ولا يختلف على بن الجهم عن مروان بن أبي حفصة من حيث صدق المشاعر، وصحّة المبدأ، فكلاهما لا يحرص إلاّ على المال، ولذلك لجأ الشاعر – في اثناء مدحه للخليفة المعتصم بالله – الى التقبيح في هجائه للعلويين(1)، وأسماهم الرافضة، مع أنه لجأ الى فرقة قليلة في عددها كانت تؤمن بخروج (محمد بن الحنفية) من جبل (رضوى) ليقيم العدل في الناس، فيفيد الشاعر من العقيدة هذه في هجاء الشيعة ومدح العباسيين والمعتصم بالله على وجه الدقّة، لأنه يمتلك سبعين ألفاً من الجنود الأتراك، وهو – فضلاً عن ذلك – يستعين بسورة الأنفال – كالشاعر الذي سبقه– في إثبات الحق الشرعي للعباسيين في الخلافة، جاعلاً محبّة العباسيين تغفر الذنوب لمحبّيهم، بل إنّ تلك المحبّة لهم مثل الصلاة والصيام لديه، فيقول:

أمَا ومُحرِّمِ البَلَدِ الحَرامِ يَميناً بينَ زَمزَمَ والمَقامِ

لأنتُم يابَني العبّاس أولى بميراثِ النبيِّ منَ الأنامِ

تُجادِلُ سُورَةُ الأنفالِ عنكمْ وفيها مَقْنَعٌ لذَوي الخِصامِ

وآثارُ النَّبيِّ ومُسْنَداتٌ صَوادِعُ بالحلالِ وبالحرامِ

مَوَدَّتُكم تُمَحِّصُ كُلَّ ذَنْبٍ وتُقْرَنُ بالصَّلاَةِ وبالصِّيامِ

ورافِضَةٍ تقولُ بِشِعْبِ رَضْوى إمامٌ خابَ ذلِكَ من إمامِ

إمامِي مَنْ لَهُ سبعونَ ألفاً مِنَ الأتراكِ مُشْرَعَةَ السِّهامِ

إذا غَضِبوا لدينِ اللهِ أرْضَوا مَضاربَ كُلِّ هِندِيٍّ حُسامِ(2)

وكان ابن المعتز أحد أفراد البيت العباسي المهيأ لعدم تقبّل الآخر العلوي كلّياً، بوصفه منافساً قوياً لهم، وصاحب تهديد شرعي للمطالبة بالخلافة وانتزاعها من بين أيديهم، لذلك كان ابن المعتز ((كثيراً ما يوجّه فخره بأسرته الى العلويين مبيناً أنّ بيته أحق بالخلافة من بيتهم، وقد ظلت ثوراتهم مشتعلة لا تخمد طوال عصره، ممّا جعله يُكثر من وعيدهم وتهديدهم، مذكّراً لهم بأنّ بيته هو الذي استطاع أن يثأر لهم من الأُمويين قتلة الحسين وزيد حفيده))(3).

ففي احدى قصائد الشاعر نراه يطلب من آل أبي طالب الرجوع الى الحُسْنى، وعدم إثارة الشغب، ويستدل بـ(عبد الله بن عباس) ﵁ على أنه أقرب شخص للإمام علي ﵇، وكذلك بولاية العهد التي جعلها الخليفة المأمون للإمام علي الرضا﵇، مدّعياً أنّ المأمون أعطاها إيّاه لا عن استحقاق له، بلا لأنه جاد بالدنيا على حدّ قوله، وليبيّن للعلويين أنّ الذي حرصوا عليه وقُتِلُوا بسببه كان أمراً يسيراً عليه تركه، كما يجب أنْ يكون كلّ إنسان مؤمن، ولكن الرضا ﵇ سرعان ما مات، فرجعت الخلافة إليهم مرّة أخرى كما عاد عاشق الى وطنه الذي يجد كلّ ما يهواه فيه، لذا يدعوهم الى تركهم كما تركوهم في حياتهم الأولى، قائلاً:

بَني عمِّنا الأدنَينَ من آلِ طالبِ تَعالَوا الى الأدنى وعُودوا الى الحُسْنى

أليسَ ابنُ عَبَّاسٍ مِجَنَّ أبيكُمُ ومَوضِعَ نجواهُ وصاحِبَهُ الأدنى

(1) ينظر: دراسات في الأدب العربي، العصر العباسي/220.

(2) ديوان علي بن الجهم/ 210- 211، محَّصَ الشيء: نقصه، يقال: مَحَّصَ الله عن فلان ذنوبه، أي نقصها وأذهب ما تعلق به من الذنوب وطهّره وصفّاه منها، الشِعب " الطريق في الجبل وما انفرج بين الجبلين والناحية، ورضوى: جبل منيف قرب ينبع ذو شعاب وأودية وبه مياه كثيرة وأشجار، ويريد بالرافضة: الكيسانية الذين يزعمون أنّ (محمد بن الحنفية) لم يمت، بل هو مقيم برضوى حي يرزق.

(3) العصر العباسي الثاني/ 340.

وأعطاكمُ المأمونُ عَهْدَ خِلافَةٍ لنا حَقُّها لكنَّهُ جادَ بالدُّنيا
ليُعلِمَكُمْ أنّ التي قد حَرَصْتُمُ عَلَيها وغُودِرْتُمْ على أثرِها صَرْعَى
يَسيرٌ عليه فَقْدُها غيرَ مُكْثِرٍ كما يَنبغي للصالِحينَ ذَوي التَّقْوى
فمات الرِّضى[كذا] مِن بعدِها عَلِمتُمُ ولاذَتْ بنا من بعدِهِ مَرَّةً أُخرى
وعادت إلينا مِثْلَ ما عادَ عاشِقٌ الى وَطَنٍ فيه له كُلُّ ما يَهْوى
دَعُونا ودُنيانا التي كَلِفَتْ بنا كما قد تَركناكُمْ ودنياكُمُ الأولى(1)

كما يؤكد ابن المعتز حقّ العباسيين بالخلافة وأنّهم أولى بها من العلويين، من خلال قتل العباسيين للأمويين، لذا فهم أولى بأخذ الخلافةمنهم، كما أنّهم ورثوا ثياب النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولذلك يسأل العلويين عن سبب تمسكهم بأهداب تلك الثياب، فهم – على حدِّ قوله– أبناء البنت، وللسبب هذا فان أبناء العمّ أولى بالوراثة للخلافة منهم، ثم يشير الى واقعة حنين بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهوازن في السنة الثامنة للهجرة، وكانت الغلبة فيها – في بادئ الأمر – لهوازن، ممّا اضطرّ أصحاب الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) الى الفرار، فطلب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الى عمّه العباس أنْ يصرخ في القوم الفارين ليعيدهم الى المعركة، وبعد ذلك يطلب من العلويين التمهّل وعدم إثارة الفتن والثورات، لأنّ الخلافة قد اختصّت بهم من دونهم، لأنّ الله (تعالى) أراد ذلك، وهو يبالغ أكثر من ذلك، فيدّعي أنّ العلويين يعلمون تماماً أنّ العباسيين خير أرباب للخلافة، فيقول:

نصحتُ بني رَحِمي لو وَعَوْا نصيحةَ بَرٍّ بأنسابِها
وقد عَبدوا بغْيَهُمْ وارتَقوا بزَلّاءَ تَنْزُو بِرُكّابِها
ورَامُوا فرائس أُسْدِ الشَّرى وقد نَشبتْ بينَ أنيابِها
قَتَلنا أُميَّةَ في دارِها ونحنُ أحقُّ بأسلابِها
وكم عُصْبَةٍ قد سَقَتْ منكُمُ الـ خِلافةُ صاباً بأكوابِها
إذا ما دَنَوتُمْ تَلَقَّتْكُمُ زَبوناً وَقَرَّتْ بحَلاَّ بها
ولمّا أبى اللهُ أن تملِكوا نهضْنا إليكُمْ فقُمنا بها
وما رَدَّ حُجَابُها وافِداً لنا إذ وَقَفْنا بأبوابِها
كقُطْبِ الرَّحى وافقتْ أختَها دَعُونا لها وعلينا بها
ونحنُ وَرِثْنا ثِيَابَ النَّبيِّ فَلِمْ تَجذبونَ بأهدابِها
لكُمْ رَحِمٌ يا بَني بنتِهِ ولكنْ أرى العَمَّ أولى بها
ويومَ حُنينٍ بَدا عَيُّكُمْ وقد أبدتِ الحربُ عن نابِها
فلما علا الحبرُ أكفانَهُ هوى مَلكٌ بين أبوابِها
فَمهلاً بني عَمِّنا إنّها عَطيَّةُ رَبٍّ حَبانا بها

(1) شعر بن المعتز1/ 15- 16، ابن عباس: هو عبد الله بن عباس عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع الإمام علي(عليه السلام) الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره.

وكانتْ تَزَلْزَلُ في العالَمِينَ فَشُدَّتْ إلينا بأطنابها

وأُقسِمُ أنكُمُ تعلمو نَ أنّا لها خيرُ أربابها[1]

إنّ المواقف هذه والمبالغات فيها أدت الى اتخاذ مواقف أشدّ منها من لدن الشعراء العباسيين من محّبي آل البيت(عليهم السلام) والمعترفين بفضلهم، والمتأكّدين من استحقاقهم الخلافة عن جدارة، وصلت – في بعض الأحيان– الى التعرض للصحابة (رضي الله عنهم)، فضلاً عن المواقف الأُخر التي سنتحدّث عنها في البحث هذا.

التعرضّ للصحابة ﭬ:

لقد تمادى بعض الشعراء العباسيين في ردود أفعالهم بما يجعل كل باحث منصف غير راضٍ على ما بدر منهم، ولاسيما فيما يتعلق بالتعرّض لصحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهجائهم، فهم لم يتورّعوا عن سبِّهم وقذفهم بكل ما هو معيب، وأعني أبا بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفّان، وعائشة (رضي الله عنهم جميعاً)، لذا فان لسان الباحث يعفّ عن ذكر ما جاءوا به من قصائد ومقطوعات في الجانب هذا، كما يعفّ قلمنا عن خطّ أحرف تلك القصائد في بحثنا هذا[2] وسنكتفي بالتعليق حول ما طرحوه من السبِّ والقذف، ولاسيما أنّنا نعيش في زمن قد تكالب فيه أعداء الاسلام، في محاولة منهم لتدميره، عن طريق زرع الفتنة ومراعاتها لتنمو وتثمر، مستغلين الطائفية دوماً، فهي – لديهم – سلاح ناجع، لذا علينا الانتباه الى نواياهم ومخططاتهم، من أجل افشالها، هذا من جهة، وأرى من جهة أخرى – أنّه جدير بنا أن نتمثّل بأبيات بعض الشعراء العباسيين الذين ردّوا بشكل مباشر على الذين كانوا يسبّون الصحابة (رضي الله عنهم) من الشعراء العباسيين، فهي أبيات تؤكد تلاحم المسلمين وعدم التفرقة فيما بينهم، ولا تُسيء الى الجهة هذه أو الى تلك، وأبيات الخليفة العباسي (المأمون) كانت خير مثال في المجال هذا، فهو يدين بدين الإسلام، ويحبّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ويحب – من بعده – الإمام عليًا ﮎ، كما يعلن عن أنّه لا يشتم أبا بكر الصديق ولا عمر بن الخطاب(رضي الله عنهما)، ولا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الذي ذهب الى الجنّة، ولا يشتم الزبير ولا طلحة، وبالمثل فانه لا يشتم زوج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عائشة (رضي الله عنها)، وهو يتبرّأ ممّن يفعل ذلك، يقول:

أصبح ديني الذي أدينُ به ولستُ منهُ الغداةَ مُعْتَذِرا

حُبُّ عليٍّ بعدَ النبيِّ ولا أشْتُمُ صِدِّيقاً ولا عُمَرا

ثُمَّ ابنِ عفّانَ في الجِنانِ مَعَ الـ أبرارِ ذلك القتيلُ مُصْطَبِرا

ألاَ ولا أشْتُمُ الزُّبيرَ ولا طلحة إنْ قال قائلٌ غَدَرا

وعائشُ الأمُّ لستُ أشْتُمُها من يَفْتَريها فنحنُ مِنهُ بَرا[3]

أمّا ابن المعتز، فانه يعلن عن حبه للهِ(تعالى) وللإمام علي ﮎ، وهو في الوقت نفسه– لا يكره أبا بكر الصديق ولا عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، وذلك في قوله:

أهوى عَليًّا والإلَهَ ولا أقلى أبا بكرٍ ولا عُمَرا[4]

---

(1) م.ن 1/ 20- 23، الزلاء: لعلها خطة زلاء يزل فيها صاحبها، قرَّ بالمكان: ثبت وسكن، ناقة زبون: دفوع، تضرب حالبها وتمنعه، ويريد الشاعر بثياب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) البردة التي رماها على كعب بن زهير يوم مدحه بقصيدته (بانت سعاد) والتي اشتراها منه أو من أهله معاوية، ثم انتقلت الى العباسيين، فكان الخلفاء يرتدونها في الأعياد.

(2) ينظر مثلاً: مطيع بن إياس، وما تبقى من شعره/ 49، وديوان السيد الحميري/ 173، 195، 263- 264، 329- 332، 340، 352، 384، 386، 412- 413، 427- 430، 449- 450، 451- 452، 455، ومحمد بن وهيب الحميري/ 96- 97، وديوان ديك الجن/ 34- 36/ 43، 49- 50، وشعر دعبل بن علي الخزاعي/ 74، 250- 252، 259، 264- 265، 266- 267، 267- 268، 270، وديوان علي بن محمد الحماني العلوي الكوفي/ 216، وديوان الصنوبري/ 95، وديوان كشاجم/ 345- 347، وديوان أبي فراس الحمداني/ 205، وديوان الصاحب بن عباد/ 63، 157، وديوان مهيار الديلمي 2/ 183، 3/ 16، 50- 51، 112- 114.

(3) ديوان الأمين والمأمون/74.

(4) شعر ابن المعتز 3/ 39.

فعلى الرغم من أنّ الأبيات التي تمثّلنا بها لخليفتين عباسيين، إلاّ أنّها كانت تمثّل الاحترام والتقدير للرموز الدينية جميعها، من دون تفضيل لجهة على أخرى، وفي الوقت نفسه من دون سبٍّ للآخرين، وهذا هو ما نحتاجه فعلاً، ولاسيما في عصرنا الراهن.

التعرّض للآخرين:

لم يتعرض الشعراء العباسيون للصحابة الكرام(رضي الله عنهم) في قصائدهم التي تناولت آل البيت (عليهم السلام) ثيمة رئيسية لها فحسب، بل تعرّضوا لكثير من الرموز التي كانت سلبية في مواقفها تجاه آل البيت (عليهم السلام)، فانثالوا عليهم بالسبِّ والهجاء والوعيد وما الى ذلك كما سنرى، فتعرّضوا للأمويين والعباسيين ولكل مَن كان مسؤولاً عن مقتل أحد الأئمة (عليهم السلام)، أو مَن حارب الإمام عليًّا (عليه السلام) كطلحة والزبير، ولذلك سوف لن نستثني أحداً هنا سوى الصحابة (رضي الله عنهم) الذين أشرنا إليهم سابقاً، فكلّ من تحدّث عنهم الشعراء العباسيون من الرموز السلبية التي أعلنت العداوة لآل البيت (عليهم السلام)، وكان لها مواقف سلبية تجاههم، سنتناولها هنا كما تناولها الشعراء العباسيون ذمًّا وهجاءً.

كانت حرب الجمل ميداناً رحباً للسيد الحميري الذي تحدث فيها عن إقدام طلحة والزبير على حرب الإمام علي (عليه السلام) وكيف ورَّطا معهما أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) فجرّاها معهما الى ما لا يُحمد عقباه، وقد بدأ قصيدته من بعد المقدمة الغزلية بقوله:

ولقد حلفت وقلت قولاً صادقاً ... بالله لم آثم ولم أتريّب
لمعاشر غلب الشقاء عليهم ... وهوىً امالهم لأمر متعب
من حميرأهل السماحة والندى[كذا] ... وقريش الغرّ الكرام وتغلب
أين التطرّب بالولاء وبالهوى ... أإلى الكواذبِ من بروقِ الخلّب
أإلى أميّة أم الى شيع التي ... جاءت على الجمل الخِدبّ الشوقب
تهوي من البلدِ الحرام فنبّهت ... بعد الهدوّ كلاب أهل الحوأب(1)

ثم ينتقل الشاعر الى كيفية قيادة عائشة (رضي الله عنها) من لدن طلحة والزبير، اللذين وصفهما الشاعر بالذئبين اللذين قادهما الشقاء للهلاك فوقعا معها في شباك الصيد، فورّطاها معهما في ذلك الخروج الذي لم يكن مسوَّغاً بأيّة صورة من الصور:

يحدو الزبيرُ بها وطلحةُ عسكراً ... ياللرجال لرأي أم مشجب
ياللرجال لرأي أم قادها ... ذئبان يكتنفانها في أذؤب
ذئبان قادهما الشقاء وقادها ... للحَينِ فاقتحما بها في مشنب
في ورطةٍ لَحَجا بها فتحمّلت ... منها على قتب باثم محقب
أم تدبّ الى ابنها ووليّها ... بالمؤذيات له دَبِيبَ العقرب(2)

وبعد ذلك سخر الشاعر من الطريقة التي هرب فيها الزبير من ملاقاة الإمام (عليه السلام)، وما آل إليه مصيره، وكذلك ما حدث لطلحة من بعده جرّاء محاربتهما خير البرية من بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:

أمّا الزبيرُ فحاص حين بدت له ... جأواء تبرق في الحديد الأشهب

---

(1) ديوان السيد الحميري/ 85، الخِدَبّ: الضخم، والشوقب: الطويل.

(2) م.ن/ 85، عسكر: اسم الجمل، الحَين: الهلاك، والمنشب: من نشب في الشيء إذا علق به كما ينشب في الحبالة، الورطة: الهلكة، ولحجا: أي نشبا، ومحقب: من احتقب الشيء: احتمله خلفه.

حتّى إذا أمِنَ الحتوف وتحته عاري النواهق ذو نجاء ملهب
أثوى ابن جرموز عمير شلوه في القاع منعفراً كشلو التولب
واغتر طلحة عند مختلف القنا عبل الذراع شديد أصل المنكب
فاختل حبة قلبه بمذلَّقٍ ريّان من دم جوفه المتصبب
في مارقين من الجماعة فارقوا باب الهدى وحيا الربيع المخصب
خير البرية بعد أحمد من له منّي الهوى والى بنيه تطرّبي[1]

وتصدّى السيد الحميري بشعره لكل مَن كان يبغض الإمام عليًّا(عليه السلام) مهما كانت مكانته في المجتمع، إذ هجا القاضي (سوار بن عبد الله) بعد وفاته، لأنه كان مبغضاً للإمام علي (عليه السلام)، ودعا الله (تعالى) لمعاداته، وحرقه بنار الجحيم، فهو عادى الله (تعالى) بمعاداته الإمام (عليه السلام)، وفي ختام الأبيات نلحظ الشاعر يسخر منه من خلال مخاطبته الجحيم بأنْ تهبّ لسوار، إذ قال:

يا مبغضاً لأمير المؤمنين وقد قال النبي له من دون إنكارِ
يوم الغدير وكل النّاس قد حضروا مَن كنتُ مولاهُ في سرٍّ واجهارِ
هذا أخي ووصيِّي في المور ومَن يقوم فيكم مقامي عند تذكاري
ياربِّ عادِ الذي عاداه من بشرٍ وأصْلِهِ في جحيم ذات اسعارِ
وأنتَ لا شكَّ عاديت الإله به فيا جحيم ألاَهبّي لسوارِ[2]

كما يهجو السيد الحميري (عمر بن سعد)، وكذلك (الشَّمِر بن ذي الجوشن) ويلعنهما، لأنهما جعلا الإمام الحسين (عليه السلام)غرضاً لهما، وعاملاه وكأنه(عليه السلام) وحش من الصيد، وهما إنّما أرادا قتاله من أجل المال، ولكي يتحكم فيه ابناء البغايا الذين يدعوهم الشاعر – في قصيدته– بأولاد أخبث مَن مشى مرحاً وأخبثهم سجية، وحينما رفض الإمام (عليه السلام) الرضوخ لهم، قاتلوه بمختلف الأسلحة، وحشدوا له الألوف في الوقت الذي لم يكن فيه معه إلاّ العدد القليل من المقاتلين من أهل بيته وأصحابه:

والعن صدى عمر بن سعـ ـد والملمع بالنقيه
شمر بن جوشنٍ الذي طاحت به نفس شقيه
جعلوا ابن بنت نبيِّهم غرضاً كما ترى الدريَّه
لم يدعهم لقتاله إلاّ الجعالة والعطيّه
لما دعوه لكي تحكـ ـكَم فيه أولاد البغيّه
أولاد أخبث من مشى مرحاً وأخبثهم سجيّه
فعصاهم وأبت له نفس معززة أبيّه

---

(1) م.ن/ 86 ، حاص: عدل وحاد، والجأوا: الكتيبة التي يضرب لونها الى السواد من صدأ الحديد، والأشهب: الأبيض يتخلله سواد، النواهق: العظمان الشاخصان من ذي الحافر في مجرى الدمع، أي عاري النواهق من اللحم وهي صفة ممدوحة في الفرس، والنجاء: الاسراع، وملهب: سريع العدو، الشلو: العضو من اللحم، والتولب: الجحش، اغتر: من الغرة: يقال أتاه على غرة وأصاب منه غرة، فبطش به، اختل: أي دخل في خلل قلبه، وتنظر: 455.
(2) م.ن/231- 232.

فغدوا له بالسابغا ت عليهم والمشرفيّه

والبَيض واليَلَبَ اليما ني والطوال السمهريّه

وهم ألوف وهو في سبعين نفساً هاشميّه[1]

ولا يتوانى الشاعر دعبل الخزاعي عن هجاء الأُمويين والعباسيين معاً، بوصفهم أطرافاً رئيسة في قتل عدد كبير من الأئمة (عليهم السلام)، فالأمويون كانوا قاتلي الإمام الحسين (عليه السلام)، لذا وصفهم بالذئاب، لأنهم أجرموا في طريقة قتل الإمام (عليه السلام) ومَن كان معه من أهل بيته(عليهم السلام)، ولم يراعوا حرمة جدّه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم)، في الوقت الذي عاث فيه العباسيون في الدين الى الدرجة التي ظلموا فيها أبرز رموزه، وأعني آل البيت (عليهم السلام)، وللسبب هذا يسخر دعبل من الألقاب التي لقبوا بها أنفسهم كـ(الرشيد والمأمون والأمين) واستهزأ بهم وبألقابهم معاً، لأنّهم لم يتصرّفوا وفقها، بل كانوا على العكس تماماً من تلك الصفات التي أضفوها على انفسهم، فالرشيد كان غاوياً وكذلك كان الأمين والمامون من بعده، يقول:

دَعَتْهُمْ ذِئابٌ من أُمَيَّةَ وانتَحَتْ عليهِمْ دِراكاً أزمَةٌ وسَنونُ

وعاثَتْ بَنو العبّاسِ في الدِّينِ عِيثَةً تَحَكَّمَ فيها ظالِمٌ وظَنينُ

وسَمَّوا رشيداً ليس فيهم لِرُشْدِهِ وها ذاكَ مأمونٌ وذاكَ أمينُ

فما قُبِلَتْ بالرُّشْدِ مِنْهُمْ رِعايَةٌ ولا لِوَلِيٍّ بالأمانَةِ دِينُ

رشيدُهُمُ غاوٍ، وطِفْلاهُ بَعْدَهُ، لهذا رزايا، دُونَ ذاكَ مُجونُ[2]

وحينما يدعو دعبل الآخرين الى زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، نجده ناعتاً الخليفة العباسي (المتوكل) بالحمار، داعياً الى عصيان أوامره التي تمنع الناس من زيارة ذلك القبر الطاهر، لأن للحسين (عليه السلام) مكانة في القلوب والعقول لا يمكن أنْ تمحوها أوامر المتوكل ولا أيّ شخص آخر، ولذلك نرى الشاعر داعياً على عدوِّهِ بالكره والدمار، قائلاً:

زُرْ خَيرَ قَبْرِمٍ بالعراقِ يُزارُ واعصِ الحِمارَ فَمَنْ نَهاكَ حِمارُ

لِمَ لا أَزُورُكَ يا حُسينُ لَكَ الفِدا قَومِي، ومَنْ عَطَفَتْ عليهِ نِزارُ

ولكَ المودَّةُ في قُلوبِ ذَوي النُّهى وعلى عدُوِّكَ مَقْتَةٌ ودَمارُ[3]

كان دعبل الخزاعي مكثراً من هجاء أعداءآل البيت (عليهم السلام)، ولاسيما مَن قَتَلَ منهم الإمام الحسين (عليه السلام)، لذا نال الأُمويون القدح المعلّى من هجاء الشاعر وتوجيه لعناته لهم، وبالذات (عمر بن سعد) و(الشمر بن ذي الجوشن) وغيرهما ممَّن أسهم في قتل الإمام وآل بيته (عليهم السلام)[4].

وللصنوبري قصيدتان في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام)، يتطرق فيهما إلى هجاء بني أميّة، ولاسيما (الشمر بن ذي الجوشن)، لتوليه ذبح الإمام (عليه السلام) بيده الآثمة، كما يلعن في واحدة منهما(يزيد بن معاوية) و(عبيد الله بن زياد) ويهجوهما لما فعلاه بالإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطفّ [5].

---

(1) م.ن/ 470 – 471، النقية: ربما فيها اشارة الى البرص الذي في وجه (شمر بن ذي الجوشن)، السابغات: الدروع التامة الطول، المشرفية: السيوف المنسوبة الى مشارف الشام، وقيل الى موضع في اليمن، والبَيض، بفتح الباء: مفردة بيضة، وهي خوذة حديدية بيضوية الشكل يضعها الفارس على رأسه ويعتمّ عليها، لتقيه ضربة السيف، اليَلَب: البَيض والدروع، السمهرية: مفردها سمهري: الرمح الصلب، وقيل: المنسوب الى سمهر زوج ردينية اللذين كانا يثقفان الرماح، وقيل: المنسوب الى قرية في الحبشة اسمها سمهر.

(2) شعر دعبل بن علي الخزاعي/ 191- 192، الدِراك: المداركة: الملاحقة، والسَّنة: الأزمة والقحط

(3) م.ن/ 257، النُّهى: مفردها نهية: العقل.

(4) ينظر: م.ن/ 211، 240، 246، 249، 259، 260- 261، 277.

(5) ينظر: ديوان الصنوبري/ 222، 271 – 272.

إنْ لَعْنَ (معاوية بن أبي سفيان) أحلى من العسل في لسان الشاعر الصاحب بن عباد، وذلك بحسب قول الشاعر نفسه حين ردَّ على السائلة التي تستفهم منه عن لعن (معاوية) الطاغي، كما أنّه (الشاعر) يُقسم على تكفيره فيما فعل، سبب حربه الإمام علياً ﷺ ومناصبته العداء له، إذ نراه (الشاعر) يُقسم على ذلك بإله السهل والجبل، إذ قال:

قالت: معاويةُ الطاغي أتلعنُهُ فقلتُ: لعنتُهُ أحلى مِنَ العَسَلِ

قالت: تُكَفِّرُهُ فيما أتى وعَتا فقلتُ: أي وإلهِ السَّهْلِ والجَبَلِ[1]

وهو حينما يتطرّق لرثاء الإمام علي ﷺ، يتحدث عن محاربة بني أُميّة له، وكيف تآمروا على قتله، ومن ثمّ سبِّهم له على المنابر على مدى ثمانين سنة متتالية، وبعد ذلك ينتقل الى لعنه لبنيم أميّة، فيتساءل متعجّباً عن الشّكّ في لعنه لهم، بوصف ذلك اللعن أمراً في عداد المؤكّدات لديه ولدى الناس بعدما فعلوه بالإمام علي ﷺ وآل بيته (عليهم السلام) من بعده، قائلاً في خطاب الإمام علي ﷺ:

حُورِبْتَ ثمَّ قُتِلْتَ ثُمَّ لُعِنْتَ يا بُعْداً لأجمعهِمْ وطولَ تبابِ

أيُشَكُّ في لَعْني أُميَّة انّها نفرتْ على الاصرار والأضبابِ[2]

ويبدو أنّ الصاحب بن عباد اختصّ بلَعْن الأُمويين، ولاسيما آل حرب وآل هند، ففي بعض الأحيان تغمره الحماسة القصوى في لعنهم، فيتضح انفعاله ويتجلّى من خلال جُمَلِه في تهديدهم، وألفاظه التي يستثمرها في أبياته التي خصّصها للحديث عن هجائهم والنيل منهم بالكلام، فهو حرب لهم، وإنْ لم يفعل ذلك، فإنّ الآباء والأجداد ينفونه عنهم، ولا يعترفون به، وفضلاً عن ذلك نجده مصرّاً على ترك مذهبه إنْ لم يتابع لعنهم، على الرغم من أنّه يعتقد أنّ ترك مذهبه إلحادٌ، وفي ذلك ما يؤكد حماسته الواضحة في لعن بني أُمية التي تدلّ من وجه آخر على مدى حقده عليهم، لما فعلوه بآل البيت (عليهم اللسلام)، يقول:

يا آل هندٍ إنْ عَثَرْتُ بحُبِّكُمْ فرأيتُ جدّي عاثراً يَنْآدُ

إنْ لم أكن حرباً لحربٍ كلِّها فنفاني الآباءُ والأجدادُ

إنْ لم أُتابِعْ لَعْنَها فتركتُ ديـ ـنَ الاعتزالِ وتَرْكُهُ إلحادُ[3]

ويقرّ الشاعر بأنّ الأُمويين في قتلهم الإمام الحسين ﷺ أخذوا ثاراتهم القديمة في بدر وغيرها، فكأنهم لم يُسْلِمُوا يوماً ولم يؤمنوا ولم يعتصموا بحبل الله (تعالى) المتين، ومثلهم كان العباسيون في طريقة تعاملهم مع آل البيت (عليهم السلام)، إذ لم يختلفوا عن الأمويين في قتلهم وتعذيبهم لآل البيت (عليهم السلام)، حتى أنّ الشاعر يشكِّكُ في قضية ولاية العهد التي جعلها المأمون للإمام علي الرضا ﷺ، لأنهم قتلوه بعد مدّة وجيزة من عقد تلك الولاية المشؤومة، وبقي الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في عهد الخلفاء العباسيين بين قتيل وأسير ومسموم وسجين، كما قال الصاحب بن عباد:

هاتا أُميّةُ راجعتْ ثاراتِها فيها بَشْملِ ضلالها الموضونِ

فتقولُ لم تُسْلِمْ ولم تُؤمِنْ ولم تُعْصِمْ بحبلٍ في اليقين مَتينِ

فإذا بنو العَبَّاسِ تحذو حَذْوَها فاسألْ عن المنصورِ أو هارونِ

واسألْ ولا يغرُرْكَ ما قد لبَّسوا أو دلَّسُوا من قصةِ المأمونِ

وهلمَّ جرّاً فالجرائرُ جَمَّةٌ فَوضَى وكم من زَفْرَةٍ وأنينِ

---

(1) ديوان الصاحب بن عباد/47.
(2) م.ن/ 103.
(3) م.ن/ 127.

آلُ الهُدى ما بين مقتولٍ ومأ سورٍ ومسمومٍ الى مسجونِ[1]

وهو لا يلعن الأُمويين– في شعره– دوماً، إلاّ لأنّهم قتلوا الإمام الحسين(عليه السلام) متعمدين، فهم أهل الضلالة لفعلهم القبيح ذلك، ولسبيهم بنات محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وجعلهم سترهنَّ رهن انتهاك على حدِّ قو له:

لُعِنَتْ أُمَيَّةُ انّها أهلُ الضلالةِ والافاكِ

قد حاربتْ خيرَ الورى والدِّينُ مُذْ جَحَدُوهُ شاكي

وتعمَّدوا قتلَ الحُسيـ نِ فناظِرُ الإسلامِ باكي

سُبِيَتْ بناتُ مُحمَّدٍ وستورُها رَهْنُ انتهاكِ[2]

أما شاعر أهل البيت (عليهم السلام) مهيار الديلمي، فانه– حين يمدح الإمام علياً(عليه السلام)– يصف (معاوية) وابنه (يزيد) بالخبيثين،لأنّهما إنّما فعلا ما فعلاه مع الإمام (عليه السلام) حسداً وغيرة من فضائله المتعددة، فهما– مع ما حقّقاه من السلطة والجاه– لم يستطيعا اللحاق به وبمناقبه (عليه السلام)، يقول:

وما الخبيثان ابن هندٍ وابنه وإنْ طغى خطبُهما بعدُ وجلّْ

بمبدعَيْنِ في الذي جاءا به وإنَما تقفَّيا تلك السُّبُلْ

إنْ يحسدوك فلفرط عجزهم في المشكلات ولما فيكِ كملْ[3]

ممّا سبق تبيّن لنا كيفية تعرّض الشعراء العباسيين لأعداء آل البيت (عليهم السلام)، ولاسيما الذين ناصبوا منهم العداء للإمام علي (عليه السلام) بالدرجة الأساس، فضلاً عن المسؤولين عن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) على وجه الخصوص، ولاحظنا كيف أنّ بعض الشعراء العباسيين اتخذوا منهم بعض المواقف السلبية نتيجة أفعالهم الرديئة كلعنهم والدعاء عليهم بالعذاب، وما إلى ذلك ممّا تبيّن لنا فيما مضى، أمّا فيما يتعلق بهجاء أعداء آل البيت (عليهم السلام) عموماً، فسيكون محور دراستنا في الفقرة الآتية.

هجاء أعداء آل البيت (عليهم السلام) عموماً:

لم يكتف الشعراء العباسيون بتوجيه اللّعنات والأهاجي على المسؤولين عن معاداة الإمام علي (عليه السلام) أو الذين قاموا بقتل الإمام الحسين(عليه السلام) بشكل مباشر أو غير مباشر، وإنّما راحوا يكيلون الأهاجي لكل مَن يُعادي الأئمة (عليهم السلام)، أو مَن يحاول التشكيك بمعتقدات أصحاب المذهب، أعني شيعة الإمام علي (عليه السلام)، لذا كَثُرَت الأهاجي من الناحية هذه، لأنها تناولت عموم أعداء أهل البيت (عليهم السلام) ولم تقتصر على فئة معينة كما في السابق.

ففي الوقت الذي يعلن فيه السيد الحميري عن حبّه لآل البيت (عليهم السلام)، بوصف طاعتهم أمراً مفروضاً على الجميع، كما أنه يحبّ كل مَن والاهم وأخلص في حبِّه لهم، نراه يلعن المعاندين وغير المعترفين بفضلهم، فضلاً عن تخصيصه الأهاجي ليذمهم بها، فيقول:

أهل الكساء أحبتي فهم الذين فرض الإله لهم عليَّ ولائي

ولمَن أحبّهم ووالى دينهم فلهم عليَّ مودّة بصفاءِ

والعاندون لهم عليهم لعنتي وأخصّهم منّي بقصد هجاءِ[4]

---

(1) م.ن/ 133- 134.
(2) م.ن/ 138، وتنظر: 181.
(3) ديوان مهيار الديلمي 3/ 115.
(4) ديوان السيد الحميري/ 53.

كما لم تسلم قبائل أعداء الإمام علي (عليه السلام) من هجاء السيد الحميري، إذ خصّهم بالذمّ لما بدر من بعض رجالهم الذين ناصبوا العداء للإمام علي (عليه السلام)، فتناول في احدى قصائده- قبيلة (تيم) التي نسل منها(طلحة بن عبيد الله) الذي نكث بيعة الإمام علي (عليه السلام) وخرج لقتاله في حرب الجمل، وقبيلة (عدي) وهي قبيلة (عبدالله بن عمرو) الذي تخلف عن بيعة الإمام علي(عليه السلام)، كما تطرّق لقبيلتي (بني عامر) و(بني أسد) وجعل المنتمين إليهما أوغاداً، وكذلك فعل مع رهط (سعد بن ابي وقاص) ورأى الشاعر أنّه لولا خمول (بني زهر) – وهم قبيلة (سعد بن ابي وقاص)- لما سادهم (سعد)، لذا خصّهم الشاعر جميعاً بالذمّ في قوله مخاطباً الإمام عليّاً(عليه السلام):

إنْ أنتَ لم تلقَ من تيم أخا صلف ومن عدي لحق اللهِ جحّادا

أو من بني عامر أو من بني أسد رهط العبيد ذوي جهل وأوغادا

أو رهط سعد وسعد كان قد علموا عن مستقيم صراط اللهِ صدّادا

قوم تداعوا زنيماً ثم سادهم لولا خمول بني زهر لما سادا(1)

وفي بعض الأحيان ينشد السيد أبياتاً في هجاء أعداء الإمام علي(عليه السلام) بناء على حادثة معينة، ومنها- على سبيل المثال- أنّه جاء جماعة من الثغور الى (بجير بن سماك الأسدي)والي الأهواز، فعاتبوه على التشيع وسألوه الرجوع، فغضب من ذلك ودعا بمولاه(ابن مذعور)، فقال له: أنشدني ويلك لأبي هاشم الحميري، فأنشده ثلاث قصائد كلّها في مدح الإمام علي (عليه السلام)،فلما فرغ أقبل عليه الثغريون فقالوا: ما أعتبتنا فيما عاتبناك عليه، فقال: يا حَمِير. هل في الجواب أكثر ممّا سمعتم؟ واللهِ لولا أني لا أعلم كيف يقع فعلي من أمير المؤمنين المنصور لضربت أعناقكم، قوموا إلى غير حفظ اللهِ. فقاموا. وبلغ السيد الحميري الخبر. فقال في الحادثة هذه الأبيات الآتية تمثيلاً لها(2):

إذا قال الأميرُ أو بجيرُ أخو أسد لمنشده يزيدا

طربت الى الكرام فهات فيهم مديحاً من مديحك أو نشيدا

رأيتُ لمن بحضرته وجوهاً من الشكاك والمرجين سودا

كأنّ يزيد ينشد بامتداح ابا حسن نصارى أو يهودا(3)

وحينما حضرت السيد الحميري الوفاة، أنشد أبياتاً في حبه الإمام عليّاً(عليه السلام) أعلن فيها عن ولائه له، وأنّ مَن مات في حبِّه(عليه السلام) تراه ضاحكاً لحظة الموت، في الوقت الذي يذهب فيه مَن عاداه الى النار، ولذلك نرى الشاعر يفدي الإمام عليًّا(عليه السلام) بنفسه وأسرته وبكلّ ما يملك في الدنيا، لأنه عارف بفضله ومتمسك بهواه، ونراه – في الوقت نفسه- معادياً مَن يكره الإمام(عليه السلام) وينكر فضله، عادًّا مَن يقوم بالفعل هذا أحمق لا يعرف وجه الحقيقة، فالموالي لعلي (عليه السلام) مؤمن واضح الهدى، كما أنّه ينجو من عذاب النار، وعلى العكس من ذلك، فان مَن يكرهه(عليه السلام) يكون ضالاً مشركاً مثواه الى النار، إذ يقول:

أحبُّ الذي مَن مات مِن أهل وُدِّهِ تلقّاه بالبشرى لدى الموتِ يضحك

ومَن مات يهوى غيره من عَدُوِّهِ فليس له إلاّ النار مسلك

أبا حسن أفديك نفسي وأسرتي ومالي وما أصبحتُ في الأرض أملك

أبا حسن إنّي بفضلك عارف وإنّي بحبل من هواك لممسك

(1) م.ن/ 161- 163.
(2) ينظر: م.ن/ 163- 164، الهامش.
(3) م.ن/ 163.

وأنت وصيّ المصطفى وابن عَمِّهِ فانّا نعادي مبغضيك ونترك

ولاحٍ لحاني في عليٍّ وحزبه فقلتُ لحاك اللهُ إنّك أعفك

مواليكَ ناجٍ مؤمن بيّن الهدى وقاليكَ معروفُ الضلالة مشرك(1)

إنّ مبغضي الإمام (عليه السلام) لا يتّصفون بالايمان، بل تجدهم – في أكثر الأحيان – زناةً خمّارين، فلم يدخل الإيمان الى قلوبهم، وإنّما هم مسلمون تسمية لا غير، وذلك ما تحدّث عنه الشاعر (محمد بن وهيب الحميري) في مقطوعة خصّ بها أعداء الإمام علي(عليه السلام) الذين لا يذكرونه في مجالسهم، وليس ذلك فحسب بل لو كان باستطاعتهم قتل محبّيه لفعلوا ذلك كما يرى الشاعر الذي تحدّث عن نفسه بأنّهم لو تمكّنوا من قتله على ذكره الإمام(عليه السلام)لفعلوا ذلك وقطعوه بالسكاكين، ولذلك يلعنهم الشاعر في مقطوعته هذه، معلناً عن عدم تركه تفضيل الإمام علي(عليه السلام) حتى لحظة مماته، على الرغم منهم، فقال:

آتي يَزيدَ بن هارونٍ أُدالجُهُ في كلِّ يومٍ ومالي وابنِ هارونِ

فليتَ لي بيزيدٍ حين أشهدُهُ راحاً وقصفاً ونَدماناً يُسلّيني

أغدو الى عُصْبَةٍ صمَّتْ مَسامعُهمْ عن الهُدى بين زِنديقٍ ومأفونِ

لا يذكرونَ عليّاً في مشاهدِهِمْ ولا بَنيهِ بَني البيضِ الميامينِ

اللهُ يَعلمُ أنّي لا أُحبُّهُم كما هُمُ بيقينٍ لا يُحبوني

لو يستطيعونَ عن ذكري أبا حسنٍ وفضلَهُ قطّعوني بالسَّكاكينِ

ولستُ اتركُ تفضيلي لهُ أبداً حتّى المماتِ على رغم الملاعينِ(2)

وكان دعبل الخزاعي من أكثر الشعراء العباسيين هجاء لأعداء الإمام علي (عليه السلام) وآل البيت (عليهم السلام)، فهو حين يمدح الإمام عليّاً(عليه السلام) يجعل الذين يحاولون دفعه (عليه السلام) عن مقامه حاقدين أو حاسدين، بسبب عدم تمكنهم من الوصول الى فضائله أو حتى الى بعضها، فيقول:

إنْ يَدْفَعُوهُ عن المَقامِ فلَمْ يَكنْ شانِيه إلاّ حاقِداً وحَسُودا(3)

ولدعبل الخزاعي قصائد أُخر يتطرّق إلى الأفعال التي ارتكبها الأُمويون كمعاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، وغيرهما ممّن حارب الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ذامّاً لهم، متوعّداً إيّاهم بعذاب أليم(4).

ويعدّ الصنوبري (يزيد) وكل مَن شارك معه في قتل الإمام الحسين (عليه السلام) خائنين وذاهبين الى النار، فأولئك الناس الذين أعانوا (يزيد) على فعله الاجرامي أرادوا له أنْ يكون إلهاً عليهم وجعلوه كذلك فعلاً حين طاوعوه في قتل الإمام (عليه السلام)، وهم – بسبب جهلهم– كانوا كالبهائم التي لا تعرف سوى ملء أكراشها، فلا يهمها ما سوى ذلك، ولو كانوا من أنواع الطيور لكانوا خفّاشاً كمار يرى الشاعر، كما عدّ قتلَ الإمام الحسين (عليه السلام) من لدن (يزيد) وأنصاره ثأراً لأضغان بدر وما حدث فيها من قتل لآل حرب فيها فيما مضى، ولذلك يستثير فعل (يزيد) الشاعر فيجعله يفكر فيما فعله من جريمة عظمى، ولم تحدث تلك الجريمة إلاّ بسبب مخادعة (يزيد) لنفسه وفخره بها:

أيُّها الراكبون أفحش ما يَرْ كبُ من كانَ فاحشاً نجَّاشا

إنَما حُشْتُمُ يزيدَ الى النّا رِ كما حاشكُمْ إليها وحاشا

(1) م.ن/ 296- 297، أعفك: أحمق، وتنظر: 453- 454.
(2) محمد بن وهيب الحميري/ 93- 94.
(3) شعر دعبل بن علي الخزاعي/ 253.
(4) ينظر: م.ن/ 242، 272.

وأردتمْ بأنْ يكون شباشاً لتسفُّوا الدنيا فكان شباشا
كذوات الأكراشِ ليست ترى المغـ ـنمَ إلاّ أنْ تملأ الأكراشا
فَرطُ غُتْميَّةٍ سبقتمْ بها بَرْ شَ أوباك باك أو خُرخاشا
لو مِنَ الطَّيرِ كنتمُ أيّها الخُفْـ ـشُ قلوباً لكنتُم خُفّاشا
يا صدوراً كانت قبورَ ترابٍ فأصابت منه لها نبّاشا
تلك أضغانُ بدرٍ انتَبَشَتْ من بعدما لم تكن تُطيقُ انتباشا
في يزيدٍ ياسادتي عَجَبٌ ينْـ ـجُشُ فكري فما يني نجّاشا
حَمَلَتْ فَرْشُ مُلككمْ منه مَن يَصْـ ـغُرُ عن أنْ يُدعَى لكمْ فرّاشا
ليس إلاّ لأنّهُ احتَوشَتْهُ حُمُرُ الجهلِ فادَّرته احتواشا(1)

ويلجأ كشاجم الى طريقة طريفة في هجاء أعداء الإمام علي (عليه السلام)، إذ يرى أنّ حبّ الإمام علي (عليه السلام) مبرّة وصِلة وطهارة، ولذلك يتواجد حبّه في قلوب العلماء، لأنهم أعرف من غيرهم بالصواب بسبب علمهم، ولذلك فان الجهلة ينكرون فضله وحقه، ومن ثمّ فانّ الذين يتشيّعون للإمام (عليه السلام) هو سراة الناس، في الوقت الذي يعاديه فيه يكون من الأرذال والسفلة:

حُبُّ الوَصِيِّ مَبَرَّةٌ وَصِلهْ وطَهَارَةٌ بالأَصْلِ مُكْتَفَلَهْ
والنّاسُ عالمُهُمْ يَدِينُ بهِ حُبّاً ويجهلُ حَقَّهُ الجَهَلَهْ
ونرى التَّشَيُّعَ في سَرَاتِهِمْ والنَّصْبَ في الأَرْذَالِ والسَّفَلَهْ(2)

ولأبي فراس الحمداني قصيدة حماسية طويلة يتناول فيها فضل آل البيت (عليهم السلام) على العباسيين، ويعرض فيها ما فعله الأُمويون والعباسيون فيهم من القتل والأسر والسجن، وهو يعرض لذلك كلّه من خلال توجيه للانتقادات المتتالية لهم، فهو يخاطب بني العباس قائلاً: بأنّ أبناء علي (عليه السلام) أسياد العباسيين، وإنْ هم زعموا غير ذلك، طالباً منهم عدم الفخر عليهم، لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جدّ أبناء الإمام علي (عليه السلام)، بل حتى (نفيلة) أمّ العباس ليست كـ(فاطمة) أم عبدالله، يقول:

لا يُطغينَّ بني العباسن ملكُهُم! بنو عليٍّ مواليهم وإنْ زعموا
أتفخرونَ عليهم؟ لا أبا لكُمُ حتّى كأنَّ رسولَ اللهِ جَدُّكُمُ
وما توزانَ، يوماً: بينكم شرفٌ ولا تساوتْ بكمْ، في موطنٍ، قَدَمُ
ولا لكم مثلهم، في المجد، متصلٌ ولا لجدّكُم مسعاةُ جدِّهمُ
ولا لِعِرقكم من عِرقِهم شبهٌ ولا نفيلَتُكم من أمّهم أممُ(3)

ويمضي أبو فراس الحمداني بمحاججة العباسيين حجاجاً عنيفاً، لأنهم أنكروا النعمة وظلموا أهل البيت(عليهم السلام)، وقاموا بقتل أبناء الإمام علي(عليه السلام)، ولم تمنعهم البيعة– التي بايعوها للإمام علي (عليه السلام) – من دماء أحفاده، ولا القربى التي بينهم، حتّى أنّهم لم يصفحوا عن الأسرى منهم كما صفح أجداد العلويين عن أسراهم يوم بدر من قبل، فضلاً عن سبّ

(1) ديوان الصنوبري/ 223، النجاش: الخائن المذيع للأسرار الذي يأكل الربا، شباش: اسم رجل ألـهته جماعة، الغتيمة: الجهالة، ينجش: يستثير: ادَّرته: ختلته وخدعته.
(2) ديوان كشاجم/ 325، وتنظر: 4، 347.
(3) ديوان أبي فراس الحمداني/ 205، نفيلة: أمّ العباس، وأراد بأمّهم فاطمة أمّ عبد الله.

بنات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وقذفهنّ، لذا يرى الشاعر أنّ ما فعله الأُمويون بآل البيت(عليهم السلام)– مع فداحة أفعالهم– لم يرقَ الى فعل العباسيين بهم، بسبب كثرة غدرهم لهم، واسالة دمائهم الزكية التي دفعت الشاعر الى إنكار قرابتهم منهم، فأظفار العباسيين امتلأت بدماء العلويين، ولعدم تشابه اخلاقهم مع أخلاق أبناء الإمام علي ﷺ:

هل جاحدٌ يا بني العباس نعمته أبوكم، أم عبيدُ اللهِ، أم قُثَم؟
بئسَ الجزاءُ جزيتم في بني حسنٍ أبوهمُ العَلَمُ الهادي وأمهمُ
لا بيعةٌ ردعتكم عن دمائهمُ، ولا يمينٌ، ولا قربى، ولا ذممُ
هلاّ صفحتم عن الأسرى بلا سببٍ للصافحين ببدرٍ عن أسيركمُ؟
هلاّ كففتمُ عن الديباجِ ألسنَكُم وعن بناتِ رسول اللهِ شتمكمُ؟
ما نُزّهتْ لرسولِ اللهِ مهجته عن السِّياط! فهلّا نُزّه الحرم؟
ما نال منهم بنو حربٍ،وإنْ عَظُمَتْ تلك الجرائرُ إلاّ دون نَيْلكمُ
كم غدرة لكمُ في الدينِ واضحةٍ وكم دمٍ لرسولِ اللهِ عندكمُ!
أأنتمُ آلُهُ فيما ترون، وفي أظفاركم، من بنيه الطاهرين، دَمُ؟
هيهات لا قرّبتْ قُربى ولا رحمٌ يوماً، إذا أُقْصَتِ الأخلاقُ والشِّيَمُ
كانت مودَّةُ سلمانٍ له رحماً ولم يكن بين نوحٍ وابنه رَحِمُ!(1)

وينتقل الشاعر الى هجاء العباسيين والأمويين معاً، فيبدأ بالعباسيين، ويبطل ادعاءهم بالمساواة بآل البيت (علهيم السلام)، فليس الرشيد كالإمام (موسى الكاظم ﷺ)، كما أنّ المأمون ليس كـ(علي الرضاﷺ)، وعرَّج الشاعر على غدر الرضاﷺ من لدن العباسيين بعدما بايعوه وليّاً للعهد، ووصفهم بالعصبة الشقيّة، منتقلاً بعدها الى هجاء الأُمويين لقتلهم الإمام الحسينﷺ، قائلاً:

ليس الرشيدُ كموسى في القياس ولا مأمونكم كالرضا إنْ أنصف الحكمُ
[....]
باؤوا بقتل الرِّضا، من بعد بيعته، وأبصروا بعض يومٍ رَشدهم وعموا
يا عصبةً شقيَتْ من بعدِ ما سعدتْ ومعشراً هلكوا من بعدما سلموا
لبئس ما لقيتْ منهم، وإنْ بليتْ بجانبِ الطَّفِّ تلكَ الأعظمُ الرممُ(2)

ويختتم أبو فراس الحمداني قصيدته في هجاء العباسيين، لعدائهم لآل البيت (عليهم السلام) بالانتقال الى الوقائع التاريخية الحقيقية التي لا غبار عليها في انتقاص العباسيين، وعدم مساواتهم بابناء علي (عليهم السلام)، فالخلافة الحقيقية في عصرهم كانت للأعاجم وليست لهم، فبمَ يفخرون وليس لهم من الأمر شيء؟ لذا يطلب منهم ترك الفخر لأصحابه من العلويين العالمين يوم السؤال والعاملين بعلمهم، فهم لا يغضبون لغير الله (تعالى)، ولا يُضيعون حكم الله(تعالى) حين يحكمون، أما بالنسبة للإيمان بالله(تعالى) بين العباسيين والعلويين، فلا توجد أيّة موازنة أصلاً بينهما، فبيوت العلويين لا يُسْمَعُ فيها سوى تلاوة القرآن الكريم، في الوقت الذين يُسْمَعُ فيه الغناء والموسيقى في بيوت العباسيين، الذي ولدوا أبرز

---

(1) م.ن/ 205- 206، قثم: من أبناء العباس، أمّ الديباج: فاطمة بنت الحسين(عليهما السلام)، نيلكم: عطاؤكم، أو حصولكم عليه، أقصَت: أبعِدَتْ، سلمان: يعني سلمان الفارسي.

(2)م.ن/ 206.

مغني العصر مثل (عُلية) بنت الخليفة المهدي، وأخيها (ابراهيم)، وفضلاً عن ذلك كلّه لا يوجد في منازل العلويين مَن يشرب الخمرة كالعباسيين الذي عُرِفُوا بشربها، فهم لا يتمسكون إلاّ بما أمرهم الله (تعالى) به، لذا غدوا – بايمانهم- كهفاً للناس ومعتصماً من الخطأ، فصلّى الله (تعالى) عليهم أينما ذُكِرُوا:

أبلغْ لديك بني العباس مألكةً: لا تدَّعوا مُلكها مُلاّكها العَجَمُ

أيّ المفاخِرِ أمستْ في منابركم وغيركم آمرٌ فيهنَّ محتكمُ؟

وهل يزيدكم من مفخرٍ علمٌ وفي الخلافِ، عليكم يخفق العلمُ

خلّوا الفخار لعلاّمين، إنْ سُئِلُوا يوم السؤال، وعمّالين إنْ علموا

لا يغضبون لغيرِ اللهِ إنْ غضبوا ولا يضيعون حُكم اللهِ إنْ حكموا

تبدو التلاوة من أبياتهم، أبداً، وفي بيوتكم الأوتارُ والنَّغَمُ

منكم عُلَيَّةُ، أمْ منهم؟ وكان لهم شيخُ المُغنين ابراهيم أم لكُمُ؟

ما في ديارهم للخمر معتصرٌ ولا بيوتهم للسوءِ معتصمُ

ولا تبيتُ لهم خُنثى تنادمهم ولا يُرى لهم قِردٌ له حشمُ

الركنُ والبيتُ والأستارُ منزلهم وزمزم، والصفا، والحِجر والحرمُ

صلّى الإله عليهم، أينما ذُكِرُوا لأنّهم للورى كهفٌ ومُعْتَصِمُ(1)

وتبقى صفة الجهل تلازم المبغضين لآل البيت (عليهم السلام)، ذلك الجهل الذي دفع أعداءهم الى منعهم من كلّ حقٍّ واجب لهم، حتى أنّهم منعوا الإمام الحسين وآل بيته (عليهم السلام) شرب الماء قبل قتلهم، ثم أقاموا الأعياد استبشاراً وفرحاً في الوقت الذي نُصِبتْ لهم فيه المآتم في العراق كما يقول السَّريّ الرّفّاء:

وجاهلٍ زادَ في بَغْضائِكُم سَفَهاً فلو عَدَوتُمْ عُداةَ الدينِ ما زادا

أعْزِزْ عَلَيَّ بأنْ يُشْفَى عَدُوُّكُمُ ريّاً وتُظْمَونَ أحشاءً وأكبادا

مُنِعْتُمُ كُلَّ حقٍّ واجبٍ لَكُمُ حتّى مُنِعْتُمْ لَذيذَ الماءِ وُرَّادا

قَبلي أُقيمتْ بأكنافِ العراقِ لكمْ مآتمٌ أصبحتْ بالشَّامِ أعيادا(2)

وفي الوقت الذي يذكر فيه السّريّ الرّفّاء صلاته على آل البيت (عليهم السلام) كلّما ذكرهم، نراه يلعن أعداءهم وينعتهم بالملاعين، وهو إنما يمدح آل البيت (عليهم السلام) –في أشعاره دوماً– ليُغْضِبَ الذي يكرهونهم ويكرهون شيعتهم كرهاً جمًّا، ويُرْغِم أنوفهم:

قَومٌ نُصَلّي عليهم حين نذكُرُهُمْ حُبًّا ونَلْعَنُ أقواماً مَلاَعينا

[....]

فلستُ أمدَحُهُمْ إلاّ لأُرْغِمَ في مَدِيحِهِمْ أنفَ شانِيهِمْ وشانِينا(3)

(1) م.ن/207.
(2) ديوان السَّرِيّ الرّفّاء 2/ 126- 127، ورّاد: جمع وارد.
(3) م.ن2/ 717.

ويتناص الصاحب بن عباد مع السّريّ الرّفّاء بالفكرة نفسها، فهو الآخر– يذكر فضائل الإمام علي (عليه السلام) في مدائحه له – يرى أنّه غير قادر على استيفائها كلّها، لكثرتها، لذا فانه يذكر ما يعرفه منها لا لشيء سوى ارغام أنوف أعدائه الذين يبغضونه ولا يعترفون بفضله وحقّه، قائلاً:

لو قلتُ (هل مثلُ) ما ناحت مطوّقةٌ لما تقصّيْتُ هاتيك التحاسينا

لكنّني مخبرٌ عن بعض ما عرفتْ نفسي لأُرغِمَ آنافَ المُعادينا(1)

وعندما يُكثر الصاحب بن عباد من تعداد فضائل الإمام علي (عليه السلام)، يتجّه الى أعدائه الذين ينكرونها ولا يعترفون بها مع يقينهم التام بها، ويوجّه اللّعنات عليهم، لأنّهم يستحقّونها بسبب مناصبتهم العداء المستمر لشخص الإمام (عليه السلام)، ونكثهم لبيعته ومحاربتهم له، ويتعجب الشاعر من أفعالهم المنكرة التي لم يخافوا بها الله (تعالى)، إذ تجرؤوا في إظهارها من دون خجل:

لَعَنَ اللهُ كُلَّ مَن رَدَّ هذا وأنكرهْ

لَعَنَ اللهُ عُصبَةً ناصَبَتْهُ على تِرَهْ

نكَثَتْهُ وحارَبَتْـ ـهُ على غير تَبْصِرَهْ

تلكَ أفعالُها التي قد تَبَدَّيْنَ مُنكَرَهْ

ويْلَها لم تَخَفْ من الـ ـلهِ في سِبْرِهِ الجُرَهْ(2)

كما كان الصاحب جريئاً في توجيه أهاجيه – في بعض الأحيان–لأعداء الإمام علي(عليه السلام)، إذ يطعن في شرفهم وأعراضهم، عادًّا أمَّ كلّ مَن أبغض الإمام(عليه السلام)عاهراً تبذل شرفها ونفسها لكلّ مَن يطلب منها ذلك، في دلالة على عدم طهارة نسب الكارهين للإمام (عليه السلام)، فيقول:

حُبُّ عليِّ بن أبي طالبٍ فرضٌ على الشاهدِ والغائِبِ

وأُمُّ مَنْ نابذه عاهِرٌ تُبْذَلُ للنازلِ والراكبِ(3)

وهو يكرر جرأته هذه في الطرح، فيعدّ حبّ الإمام علي(عليه السلام) علامة الايمان الحقيقي بالدين الاسلامي، فاذا ما ناصبه أحدهم العداء، فأنّ أباه كبش من دون شك، يقول:

حُبُّ الوصيِّ علامةٌ في مَن على الاسلام ينشو

فإذا رأيت مُناصباً فاعلمْ بأنّ أباهُ كبشُ(4)

ولم يكن الصاحب يتردد في إنشاء مثل الأهاجي هذه في أعداء الإمام علي (عليه السلام)لأنّه لم يخجل من مثل الطرح هذا في القول، كما لم يخجلوا هم من الله (تعالى) في معاداتهم له، ومن ثم قتله والقيام بسبّه على المنابر طوال ثمانين سنة، وذلك كلّه ممّا دعاه الى الطعن بشرف أمّ كلّ مَن يعاديه ويضجر من ذكره في المجالس، لذا فان حبّ الإمام (عليه السلام) – لدى الشاعر – يميّز الخلف الطاهر من عدمه، كما يرى في قوله ذامًّا السفلة والأنذال على حدِّ تعبيره:

حُبُّ عليِّ بنِ أبي طالبٍ يميّزُ الحُرَّ من النغلِ

إذا بدا في مجلسٍ ذكرُهُ يصفَرُّ وجهُ السفلة النذلِ

(1) ديوان الصاحب بن عباد/110.
(2)م.ن/ 164، السِّبْر: العداوة، والجُرَة: الجرأة.
(3) م.ن/184.
(4) م.ن/ 239.

لا تعذلوه واعذلوا أُمَّهُ إذْ آثَرَتْ جاراً على البعلِ[1]

إذن، كان الصاحب بن عباد واحداً من أكثر الشعراء العباسيين هجاءً لأعداء آل البيت (عليهم السلام)، ولاسيما أعداء الإمام علي(عليه السلام)، وليس ذلك فحسب، بل كان أكثر جرأة من غيره في توجيه ذلك الهجاء، إذ تناول فيه قذف الأعراض كما رأينا في النصوص التي تمثّلنا بها قبل قليل[2].

وأبداً يظلّ شعر الشريف الرضي آية من آيات الشعر العباسي الراقي الذوق، سواء في الصورة أو في المعنى والدلالة، حتى وإنْ كان في رثاء أهل البيت(عليهم السلام) وهجاء مناوئيهم وخصومهم، ففي قصيدة أنشأها الشاعرفي رثاء الإمام الحسين(عليه السلام) في يوم عاشوراء لجأ الى أروع فنون البلاغة في إعدادها، ولاسيما الاستعارة، فكانت – بحقٍّ – قصيدة مثالية في إثارة الأسى لدى المتلقين لمافعله آل أُميّة بالإمام الحسين(عليه السلام)، إذ لم يحفظوا حقّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في سبطه (عليه السلام)، فالمآتم التي نُصِبَتْ في العراق غدت أعياداً عندهم في الشام، فقد باعوا دينهم بضلالهم وجعلوا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) خصيماً لهم، فبئساً لما ذخروا ليوم معادهم، إذ رفعوا رأس الحسين(عليه السلام) على رماحهم، ودمه دم نبيّهم(عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام)، ومن بعد ذلك نرى الرضي متحسّراً لما أصبح عليه آل الحسين(عليه السلام)، فقد أصابهم الذلّ على أيديهم من بعد عزّهم، ثم يدحض الشاعر حجّتهم بقتل الإمام (عليه السلام)حين قالوا إنّ الدين سوّغ لهم قتله، مع أنّ الدين كان دين جدّه(صلى الله عليه وآله وسلم)، لذا فان السبب الحقيقي وغير المعلن لقتلهم إيّاه كان طلب ثاراتهم في جاهليتهم وعدم اسلامهم في وقت مبكر، ولكن الله (تعالى) سبق القتلة الى قبض أرواح الحسين وآله(عليهم السلام)، وبقي الاثم عليهم في اسالة الدماء وقتل الأجساد فقط، ثم ينعتهم الشاعر بالعلوج الأُموية التي سيطرت على الخلافة، فضلاً عن نعته إيّاهم بالذئاب في قوله:

كانت مآتِمُ بالعراق تعُدّها أُمَوِيَّةٌ بالشّام من أعيادِها

ما راقَبَتْ غَضَبَ النَّبيِّ، وقد غَدا زَرْعُ النَّبيِّ مَظِنَّةً لحصادِها

باعَتْ بَصائِرَ دِينها بضَلالِها، وشَرَتْ مَعاطِبَ غَيِّها برشادِها

جعلتْ رسولَ اللهِ مِن خُصَمائِها، فلبِئْسَ ما ذَخَرَتْ ليومِ مَعادِها

نَسْلُ النَّبيِّ على صِعابِ مَطِيِّها، ودَمُ النَّبيِّ على رُؤوسِ صِعادِها

والَهْفَتاهُ لِعُصْبَةٍ عَلَوِيَّةٍ، تَبِعَتْ أمَيّةَ بَعْدَ عِزِّ قِيادِها

جعلتْ عِرانَ الذّلّ في آنافِها، وعِلاطَ وَسْمِ الضَّيمِ في أجيادِها

زَعَمَتْ بأنّ الدّينَ سَوَّغَ قَتْلَها، أوَ ليسَ هذا الدِّينُ عن أجدادها

طلبتْ تُراثَ الجاهِلِيَّةِ عِندَها، وشَفَتْ قَدِيمَ الغِلِّ من أحقادِها

واستأثَرَتْ بالأمْرِ عن غُيّابِها، وَقَضَتْ بما شاءَتْ على شُهّادِها

اللهُ سابَقَكُمْ الى أرواحِها، وكَسَبْتُمُ الآثامَ في أجسادِها

إنْ قُوضَتْ تلكَ القِبابُ، فإنّما خَرَّتْ عِمادُ الدّينِ قبلَ عِمادِها

إنّ الخِلافَةَ أصبحَتْ مَزْوِيَّةً عن شَعْبِها بياضِها وسَوَادِها

طَمَسَتْ منابِرها عُلُوجُ أُمَيَّةٍ، تَنْزُو ذِئابُهُمُ على أعوادِها[1]

---

(1) م.ن/ 260.

(2) ينظر: م.ن/ 65، 76، 84-85، 97، 114، 116-117، 188، 219-220، 249.

وتتعالى صرخات الرضي في يوم عاشوراء دوماً، لأنه اليوم الذي يتبيّن فيه الحزن الحقيقي ويُعرَفُ معناه من دون سواه من الأيام، بسبب استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) فيه، فلا كفٌّ تُقَلِّبُهُ، وإنّما وطئت حوافر الخيل جسده الطاهر، ومات ولم يُسْق قطرة ماء، ويتبيّن حزن الشاعر العميق في اليوم هذا من خلال الصور البيانية التي رسمها في قصيدته، فقد شبّه السيوف – التي كانت تقطع جسمه الشريف– بالنار التي تتوغل في النور، فضلاً عن أنّه بقي ثلاثة أيام في العراء من دون دفن، وذلك كله كان على يد(عبيد الله بن زياد) الذي لم يكن سعيه مشكوراً في ارضاء (يزيد بن معاوية)، مع أنّه تمنّى لو أنّه لم يفعل ما فعله بالإمام (عليه السلام)، ولكن ما كسره لا يمكن أنْ يُجْبَر، فغدا ملعوناً في الدنيا والآخرة، وقد تكلّم الشاعر على ذلك كلّه من خلال رَدِّه على اللائمة التي تحاول تخفيف حزنه في ذكرى استشهاد الإمام (عليه السلام)، قائلاً:

ورُبَّ قائِلةٍ، والهَمُّ يُتْحِفُني بناظِرٍ من نِطافِ الدّمعِ مَمْطورِ:
خَفِّضْ عليكَ، فللأحزانِ آوِنَةٌ، وما المُقِيمُ على حُزنٍ بمَعْذُورِ
فقلتُ: هَيهاتَ! فاتَ السَّمْعُ لائمهُ، لا يُفْهَمُ الحُزْنُ إلاّ يَوم عاشُورِ
يومٌ حَدا الظُّعنَ فيهِ فاطِمةٍ سِنانُ مُطرّدِ الكَعْبَينِ مَطرُورِ
وخَرَّ للمَوتِ لا كفٌّ تُقَلِّبُهُ، إلاّ بوَطءٍ من الجُرْدِ المحاضِيرِ
ظمآنَ سَلّى نَجيعُ الطّعْنِ غُلّتَهُ عن بارِدٍ من عُبابِ الماءِ مَقرُورِ
كأنّ بِيضَ المَواضِي، وهيَ تَنهَبُهُ، نارٌ تَحَكَّمُ في جسمٍ مِنَ النّورِ
للهِ مُلْقىً على الرّمضاءِ عَضّ بهِ فَمُ الرَّدَى بينَ إقدامٍ وتَشْمِيرِ
تَحْنُو عَلَيهِ الرُّبى ظِلاًّ، وتَستُرُهُ عن النّواظِرِ أذْيالُ الأعاصِيرِ
تهابُهُ الوَحْشُ أنْ تَدْنُو لِمَصْرَعِهِ، وقد أقامَ ثلاثاً غَيرَ مَقْبُورِ
ومورِدٌ غَمَراتِ الضَّرْبِ غُرّتَهُ، جَرَّتْ إليه المنايا بالمصادِيرِ
ومُستطِيلٌ على الأزمانِ يقدرها جَنى الزّمانُ عليهما بالمقادِيرِ
أغرى به ابنِ زيادٍ لُؤمُ عُنْصُرِهِ، وسَعْيُهُ ليزيدٍ غَيرُ مَشْكُورِ
وَوَدَّ أنْ يَتَلافَى في ما جَنَتْ يَدُهُ، وكان ذلِكَ كَسْراً غَيرَ مَجْبُورِ(2)

وللصوري قصائد عدّة تحدث فيها عن الظلم الذي لحق آل البيت (عليهم السلام) على يد بعض الشخصيات الأُموية والعباسية، رأى فيها أنّ ما حصل للإمام الحسين(عليه السلام) على وجه الخصوص كان بسبب الأحقاد القديمة والثارات الأولية، ولاسيما ما جرَّه حديث يوم (غدير خم) الذي عقد فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه الولاية للإمام علي (عليه السلام) (3) .

ولم يخرج الشاعر مهيار الديلمي عن مضمون الصوري السابق نفسه، وذلك حين عدَّ – في قصيدته – يوم الغدير السبب الرئيس لما حدث لآل البيت (عليهم السلام) من المصائب، ولاسيما ما حدث للإمام الحسين(عليه السلام)، لأنّه لم يُرضِ الكثير ممّن حضروا ذلك المحضر، وإنْ لم يعارضوه في حينها، لذا أظهروا عدم رضاهم عن تولّي الإمام علي (عليه السلام) الخلافة من بعد النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) من بعد وفاته، وعاشوا في آل بيته (عليهم السلام) قتلاً وأسراً وسجناً حتّى قتلوا أكثرهم(4).

---

(1) ديوان الشريف الرضي 1/ 362، العِران: عود يجعل في أنف البعير، العلاط: حبل يجعل في عنقه، الغِلّ: الحقد، وينظر: 1/ 365-366.
(2) م.ن 1/ 487-488، المطروح: المحدد، المحاضير: الخيول التي ترتفع بعدوها، يَقْدِرُها: يدبرها.
(3) ينظر: ديوان الصُّوري 1/ 186-187، 416، 2/ 68.
(4) ينظر: ديوان مهيار الديلمي 1/ 299-300، 2/ 182.

وبعد ما فعله الأُمويون لا نعجب من هجاء الشريف المرتضى لهم جميعاً، وذلك حين رثى الإمام الحسين(عليه السلام) في ذكرى يوم استشهاده في عاشوراء، وقام بلعنهم، لأنهم ملأوا الدنيا ظلماً بقتلهم الحسين وآل بيته (عليهم السلام)، إذ قال:

لَعَنَ الله رجالاً أترعوا الدّنيا غصوبا[1]

ولذلك نراه– حين يهجوهم من خلال رثائه للإمام الحسين(عليه السلام) – يدعو عليهم دعوات مختلفة تنمّ عن شدّة تألمه لما قاموا به من أفعال مشينة اثناء قتلهم للإمام الحسين(عليه السلام)، فحزنُ الشاعر كان بادياً في كلّ دعوة يدعوها عليهم، فدعا – مثلاً – ألاَّ تحدو بهم ركابٌ أبداً، وألاَّ يتمكنوا من رفع السِّياط، في دلالة واضحة على تمنّي إصابتهم بالشلل الكامل، كما تمنّى ألاَّ يرفعهم الزمن اطلاقاً، بل يزيد من انحطاطهم، كما دعا عليهم بعدم رفع رؤوسهم، وعدم دخول الأفراح الى قلوبهم، والأهم من ذلك كلّه عدم مغفرة الله (تعالى) لذنوبهم، وعدم اجتيازهم السّراط يوم القيامة لما ارتكبوه في يوم الطّفّ، يقول:

فلا حُدِيَتْ بكمْ أبداً ركابٌ ولا رُفِعَتْ لكمْ أبداً سِياطا
ولا رفع الزّمانُ لكم أديماً ولا ازددتمْ به إلاّ انحطاطا
ولا عرفت رءوسُكُمُ [كذا] ارتفاعاً ولا ألِفَتْ قلُوبُكُمُ اغتباطا
ولا غَفَرَ الإلهُ لكمْ ذنوباً ولا جُزتُمْ هنا لِكُمُ الصِّراطا[2]

ولم يتوانَ الشريف المرتضى عن هجاء أعداء آل البيت (عليهم السلام) في قصائده التي تحدث – في أكثرها – عن رثاء الإمام الحسين(عليه السلام)، محاججاً الأُمويين بصفة خاصة من خلال دحضه لحججهم وابطالها وابداء آرائه في أفعالهم تلك، والتي كانت أسبابها الحقيقية حديث الغدير، وثارات بدر، ومواقفهم من الإمام علي(عليه السلام) وعدم قناعتهم بولايته خلفاً للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذا عرّض بهم الشاعر كثيراً، وأعطاهم الصفات السلبية التي استحقّوها ليكونوا عبرة للبشرية الى يوم الدين، بسبب قتلهم الإمام الحسين(عليه السلام) من دون ذنب اقترفه[3].

وأنشأ الطغرائي مقطوعة احتجاجية أصيلة في موضوعها وطرحها، تطرّق فيها الى احترام اليهود والنصارى لنسل أنبيائهم (عليهم السلام) على مدى العصور والحقب، فهم يحترمونهم ويقدرونهم محبةً وإخلاصاً للأنبياء (عليهم السلام) الذين نسلوا منهم، فلم يتعرّض لهم أحد مطلقاً بالاساءة أو القتل أو أيّ فعل يمكن أنْ يجعلهم يتعرّضون للاهانة، وهنا تبدو المفارقة الغريبة حين يتطرّق الشاعر الى استثناء محبّي آل بيت النبي (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) من ذلك الاحترام والتقدير من لدن الأُمويين والعباسيين، فكل مَن يدين بحبّهم (عليهم السلام) أو يواليهم يكون مصيره القتل او التكفير، خلافاً لكلّ محبي الأنبياء السابقين (عليهم السلام)، لذا عدّ الطغرائي تصرّف الأعداء هذا داءً عياءً ضلل حلوم البوادي والحواضر، فهم – لجهلهم – لم يحفظوا حقّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في أهل بيته (عليهم السلام)، لذا سيكون الله (تعالى) لهم بالمرصاد، إذ قال:

حُبُّ اليهودِ لآلِ موسى ظاهِرٌ وولاؤُهم لبني أخيهِ بادي
وامامهم من نَسلِ هارونَ الأُلَى بهم اهتَدَوا ولكلِ قومٍ هادي
وأرى النَّصارى يُكرمونَ محبَّةً لِنَبِيِّهم نَخِراً مِنَ الأعوادِ
وتمسّكوا بولاءِ شمعونَ الصَّفا فصفتْ قلوبُهم مِنَ الأحقادِ
وإذا تولّى آلَ أحمدَ مسلمٌ قتلوهُ أو وسموهُ بالإلحادِ

---

(1) ديوان الشريف المرتضى 1/ 214، أترعوا ملأوا، والغصوب: الظلم.
(2) م.ن 2/ 38.
(3) ينظر: م.ن1/ 439، 489، 500-502، 541، 2/ 36، 115-120، 312، 485، 514.

هذا هو الدَّاءُ العَياءُ بمثلِهِ ضَلَّتْ حلومُ حواضرٍ وبوادي

لم يحفَظوا حَقَّ النَّبيِّ مَحَمَّدٍ في آلِهِ واللهُ بالمرصادِ(1)

كان ما مضى الحديث عنه يمثّل الموقف الأساس للكثير من الشعراء العباسيين في تعاملهم مع أعداء أهل البيت (عليهم السلام)، فلم يتوانوا في هجائهم والدعاء عليهم دعوات قاسية كانوا جديرين بها جرّاء أفعالهم الشائنة مع آل بيت النبي (عليه وعلى آل بيته أفضل الصلاة والسلام)، ولم يتبقَّ لنا – لننهي الحديث عن البحث هذا- سوى البراءة التي أعلنها بعض الشعراء من الذين آذوا آلَ البيت (عليهم السلام)، وهذا ما سنتكلم عليه تحت العنوان الآتي.

براءة الشعراء العباسيين من أعداء أهل البيت (عليهم السلام):

لم يكتف بعض الشعراء العباسيين بهجاء الأُمويين أو العباسيين عموماً، أو بعض الأسماء التي لمعت بشرورها من خلال مناصبتهم العداء لآل البيت (عليهم السلام) وقتلهم وسجنهم ومنع زيارة قبورهم وما الى ذلك من الأعمال القبيحة التي استحدثوها لايذاء أشرف خلق الله (تعالى) بعد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فراحوا يعلنون البراءة منهم، وفي تلك البراءة أمرٌ في غاية الأهمية، لأنها تعني إنكار انسانية الإنسان، وعزله عن الآخرين وعدم الاعتراف به كمخلوق بشري، ومن ثم التملّص منه وجعله غير منتمٍ الى جماعة ما، فكان ذلك أمراً ضرورياً من لدن بعض الشعراء مع أعداء أهل البيت (عليهم السلام).

وأول مَن فعل ذلك من الشعراء السيد الحميري الذي خاطب آل البيت (عليهم السلام) بأنَهم ثقاته ومواليه في حياته، وعدّته إذا دنت وفاته، ونجاته في محشره، معلناً لهم عن براءته من أعدائهم آل حرب وزياد وآل مروان وكلّ مَن تجرّأ على ايذائهم، قائلاً:

يا آلَ ياسين يا ثقاتي أنتم مواليّ في حياتي

وعدّتي إذ دنت وفاتي بكم لدى محشري نجاتي

إذ يفصل الحاكم القضاء

أبرأ اليكم من الأعادي من آلِ حرب ومن زيادِ

وآل مروان ذي العتادِ وأول الناسِ في العنادِ

مجـاهر أظهر البراء(2)

ولسبب هذا لا يطيل السيد الحميري جلوسه في المجالس التي لا ذكر فيها لفضل آل البيت (عليهم السلام)، ولا ذكر فيها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويهجوهم بأنّهم ملطخون بالعيب والريبة في أنسابهم لعدم ذكرهم ذلك، وهم غير مسدّدين في اعتقادهم وتجاهلهم:

إنّي لأكره أنْ أطيل بمجلس لا ذكر فيه لفضل آل محمدِ

لا ذكر فيه لأحمد ووصيّه وبنيه ذلك محلس نطف ردي

إنّ الذي ينساهم في مجلس حتّى يفارقه لغير مُسدَّدِ(3)

(1) ديوان الطغرائي/ 137.
(2) ديوان السيد الحميري/ 62.
(3) م.ن/ 177-178، النطف: الملطخ بالعيب والمتهم بريبة، وتنظر: 427.

ويتبرّأ الشافعي الى الله (تعالى) من الناس الذين يرون في حبِّ أبناء فاطمة (عليها وعليهم السلام) رفضاً، فهم حين يسمعون بذكر الإمام علي أو بنيه (عليهم السلام) يخوضون ويفيضون بالروايات الباطلة، في محاولة منهم لتفنيد فضائلهم، لذا يصدر الشاعر لعنته عليهم، لأنهم من الذين عادوا الى الجاهلية ولم يدخل الايمان الى قلوبهم:

بَرِئت الى المُهيمن من أُناسٍ يَرونَ الرَّفضَ حُبَّ الفاطِميَّهْ

إذا ذكروا عَليًّا أو بَنيهِ أفاضُوا بالروايات الوقيّهْ

على آلِ الرسولِ صلاة رَبّي ولَعْنَتُهُ لتلكَ الجاهِلِيَّهْ(1)

كما تبرّأ دعبل الخزاعي الى الله (تعالى) من الناس الذين أنكروا فضل الإمام علي(عليه السلام)، ورأوه في غيره ممّن لا يستحّقه برأيهم، وذلك في قوله:

بَرِئْتُ الى إلهي مِن أُناسٍ يَرونَ الفَضْلَ مِنْهُ الى الدَّعِيِّ(2)

ويبدو الصاحب بن عباد أكثر وضوحاً من أعداء أهل البيت (عليهم السلام) من سائر الشعراء الذين سبقوه، لأنّه يفصّل قوله في سبب براءته منهم، وقد خصّ الأُمويين ببراءته، وذلك حين تأكد من عدائهم لآل البيت (عليهم السلام)، فقد كانوا يلعنون عليًّا (عليه السلام) علناً على المنابر دون حياء أو إجلال لمكانته الدينية أو قرابته من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما قتلوا السادات من الهاشميين وسبوا نساءهم بجرأة غير مسبوقة، فضلاً عن قتلهم الإمام الحسين(عليه السلام) في كربلاء، فهم – بأفعالهم الكثيرة تلك– شتّتوا شمل النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنّهم غضبوا لما حَلَّ بأصنامهم في بداية الدعوة الاسلامية، إذ كانوا من عبدتها، وقد أثار ذلك مشاعرهم الكافرة، يقول الصاحب:

بَرِئْتُ من الأرجاسِ رهطِ أُميَّةٍ لما صحَّ عندي من قديمِ عدائِهِمْ

ولَعْنِهِمُ خيرَ الوصيين جَهرةً لكفرهم المعدود في شَرِّ دائهمْ

وقتلهم السادات من آل هاشمٍ وسبيهِمُ عن جراَةٍ لنسائِهِمْ

وذبحهم خيرَ الرجالِ أرومةً حسين العلى[كذا] بالكرب في كربلائِهِمْ

وتشتيتهِمْ شملَ النبيِّ محمدٍ لما ورثوا من بغضِهِ في فنائِهِمْ

وما غضبتْ إلاّ لأصنامها التي أُذِلَتْ وهُم أنصارُها لشقائِهِمْ(3)

ويَعدُّ مهيار الديلمي البراءة من أعداء آل النبي (عليهم السلام) أصلاً في الولاء لهم، ولذلك نراه معلناً عن براءته منهم جميعاً في قوله:

وأبرأُ ممَّن يعاديكُمُ فإن البراءَةَ أصلُ الولا(4)

وفي ختام الحديث عن براءة الشعراء العباسيين من أعداء آل البيت (عليهم السلام) ينتهي بحثنا، والذي تبيّن لنا – من خلاله – طبيعة المواقف التي أعلنها الشعراء العباسيون تجاه المعارضين للعقيدة الشيعية، والمنكرين لفضل أهل البيت (عليهم السلام)، فكانت تلك المواقف تتنقّل بين هجائهم تارة واصدار اللعنات عليهم تارة أخرى، فضلاً عن البراءة منهم كما رأينا.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، أكرم المصادر.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، الثقافة، بيروت، د.ت.

(1) شعر الشافعي/ 341.
(2) شعر دعبل بن علي الخزاعي/ 276.
(3) ديوان الصاحب بن عباد/ 181.
(4) ديوان مهيار الديلمي3/ 52.

- دراسات في الأدب العربي، العصر العباسي، الدكتور محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالاسكندرية، طبع بمطبعة التقدم، د.ت.
- ديوان أبي فراس الحمداني، رواية: أبي عبد الله الحسين بن خالويه، عني بجمعه ونشره: الدكتور سامي الدهان، الاختيار والتقديم والشرح: أحمد عكيدي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2004.
- ديوان الأمين والمأمون، جمعه وحقّقه وشرحه: الدكتور واضح الصّمد، دار صادر-بيروت، 1988م.
- ديوان ديك الجن، حقّقه وأعدّ تكملته: الدكتور أحمد مطلوب، وعبد الله الجبوري، نشر وتوزيع: دار الثقافة، بيروت، 1383هـ-1964م [تاريخ المقدّمة].
- ديوان السَّريِّ الرَّفّاء، تحقيق ودراسة: الدكتور حبيب حسين الحسني، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام-الجمهورية العراقية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
- ديوان السيد الحميري، جمعه وحقّقه وشرحه وعلّق عليه وعمل فهارسه: شاكر هادي شكر، قدّم له العلاّمة الكبير الحجّة السيد محمّد تقي الحكيم، منشورات: دار مكتبة الحياة – بيروت، مطبعة سميا-بيروت، د.ت.
- ديوان الشريف الرضي، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1961م.
- ديوان الشريف المرتضى، حقّقه ورتّب قوافيه وفسر ألفاظه: رشيد الصفّار، راجعه وترجم أعيانه: الدكتور مصطفى جواد، قدّم له: الفقيه الأديب الشيخ محمد رضا الشبيبي، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998م.
- ديوان الصاحب بن عبّاد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار القلم، بيروت، مكتبة النهضة-بغداد، ط2، 1974م.
- ديوان الصنوبري، أحمد بن محمّد بن الحسن الضَّبي، (من حرف الراء حتى حرف القاف)، حقّقه: الدكتور إحسان عباس، نشر وتوزيع: دار الثقافة، مطابع غريّب، بيروت، 1970م.
- ديوان الصُّوري، عبد المحسن بن محمّد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصُّوري، تحقيق: مكي السيد جاسم، وشاكر هادي شكر، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة-بغداد، 1980م.
- ديوان الطغرائي، تحقيق: الدكتور علي جواد الطاهر، الدكتور يحيى الجبوري، الجمهورية العراقية، وزارة الاعلام، دار الحرية للطباعة – بغداد، 1976م.
- ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر-بيروت، ط3، 1996.
- ديوان علي بن محمّد الحماني العلوي الكوفي، صنعة: محمّد حسين الأعرجي، مجلة المورد، مجلة تراثية فصلية تصدرها وزارة الاعلام-الجمهورية العراقية، م3، ع2، دار الحرية للطباعة – بغداد، 1974م.
- ديوان كشاجم، محمود بن الحسين، دراسة وشرح وتحقيق: الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، 1997م.
- ديوان مهيار الديلمي، منشورات الشريف الرضي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ج1، ج2، 1925م، ج3، 1930م.
- شعر ابن المعتز صنعة: أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، دراسة وتحقيق: الدكتور يونس أحمد السامرائي، ج1، منشورات وزارة الاعلام-الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة-بغداد، 1978م.
- شعر دعبل بن علي الخزاعي، صنعة: الدكتور عبد الكريم الأشتر، دمشق، 1964[تاريخ المقدّمة].
- شعر الشافعي، الإمام الفقيه أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور مجاهد مصطفى بهجت [كذا]، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر-جامعة الموصل، 1986م.
- العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، ط6، 1973م [تاريخ المقدمة].
- محمد بن وهب الحميري، ضمن: شعراء عباسيون، الدكتور يونس أحمد السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1986م.

- مختار الأغاني، ابن منظور ، اوفست تراثنا، القاهرة، د.ت.
- مروان بن أبي حفصة وشعره، قحطان رشيد التميمي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة النعمان – النجف الأشرف، 1972م.
- مطيع بن اياس وما تبقى من شعره، ضمن: شعراء عباسيون، دراسات ونصوص شعرية، غوستاف فون غرنباوم، ترجمها وأعاد تحقيقها: الدكتور محمد يوسف نجم، راجعها: الدكتور إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، مطبعة عيتاني، بيروت، 1959م.